مؤتمر التقصيد القرآني الجديد والمقاربات الحديثة في الدراسات القرآنية المعاصرة

المحور الثالث: المحور الاستشرافي

آفاق التقصيد القرآني وآثاره على العلوم ذات الصلة

(الهندسة المعمارية نموذجا)

عنوان المداخلة:

البنيان والعمران وفق مقاصد القرآن

مدينة غرداية نموذجا

أ. فيصل نصيري

جامعة العربي بن مهيدي– أم البواقي

المقدمة:

منذ الحضارات البائدة* إلى الحضارات القديمة*، والإنسان يُفكر في البناء والعمران...

---

* **الحضارات البائدة:** هم الأقوام الذين أبادهم الله تعالى، وذكر قصصهم في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ الفجر الآية 6-7، وعاد قوم هود عليه السلام، سكنوا الأحقاف؛ والأحقاف الأرض الرملية، في جنوب الجزيرة العربية بالقرب من حضرموت، وكانوا بارعين في العمارة؛ فبنوا القصور المترفة والضخمة والصروح الشاهقة بمدينة إرم، قال تعالى : ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ* وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ الشعراء 128-129، أما ثمود، قوم صالح عليه السلام﴿ ثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ سكنوا بمدائن صالح والتي تقع شمال غربي المملكة العربية السعودية، بين المدينة المنورة وتبوك، كانوا ينحتون من الجبال بيوتا، وهو نوع ثانٍ من العمارة، أدهش من رآه، ثم ذكر فرعون ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ مشيرا إلى الحضارة المصرية، التي اشتهر المعمار فيها ببناء الأهرامات، والتي تشبه الخيام التي تُنصب على أوتاد.

* **الحضارات القديمة:** هي الحضارات التي تم اكتشاف آثارها تاريخيا، وأقدم حضارة في التاريخ هي **حضارة بلاد ما بين النهرين القديمة** امتدت ما بين 3500 ق م، و5000 ق م، في شمال شرق جبال زاغروس، أي كل من العراق وسوريا وتركيا، تليها **حضارة وادي السند** حوالي 3300 ق م، وظلت حتى 1900 ق م، حول أحواض نهر السند، شمال شرق أفغانستان إلى باكستان، وشمال غرب الهند، ثمّ **حضارة مصر القديمة** قرب نهر النيل حوالي 3150 ق م، وظلت لأكثر من 3 آلاف عام، أهم ما يميز هذه الحضارة تشكيلات البناء المتمثلة في الأهرامات، كما نذكر **الحضارة الصينية** حول النهر الأصفر وفي منطقة اليانغتسي، دولة الصين حاليا، وذلك في عام 1600 ق م، وقد تميزت بخصوصية معمارها، في المعابد والقصور والساحات، أما **الحضارة اليونانية** فتُعرف العمارة فيها بالأعمدة الطويلة والتفاصيل المعقدة والتناغم والانسجام والتوازن، وقد أثرت كثيرا في العمارة الإغريقية وبطُرق عميقة، حيث اعتمدت في الحضارة الإغريقية على العديد من العناصر المعمارية اليونانية في ممارساتها الخاصة، أما في **حضارة الإغريق القدماء** فقد وضعوا مبادئ علم الهندسة والبيولوجيا والفيزياء، وقد شهد التاريخ على أقدم الأبنية الحجرية التي تعود إلى القرن 7 ق م، فظهرت خصوصية العمارة في بناء المعابد والمسارح، ونذكر أيضا **الحضارة الفارسية** التي ظهرت في 550 ق م، وانهارت في 331 ق م، وهي في أرض دولة إيران حاليا، تميزت العمارة فيها بكثرة الرسوم والزخرفة على جدران القصور وكثرة والتماثيل والمجسمات المنحوتة، أما **الحضارة الرومانية** والتي ظهرت في القرن 6 ق م، فقد تميزت عمارتها بالتخطيط المتقن للمدن، وتمثلت منشآتها في المعابد والقلاع والكنائس والطرقات والقناطر والمنازل والمباني الرسمية.

ومن أجل سقف يحميه حرّ الشمس، وصقيع البرد، صار يُبدع مع تقدم الزمن وامتداه، إنشاء مساكن مترفة ومريحة، فحاول أن يكيّف بيئته لتستجيب إلى تطلعاته، ثم أخذ يبحث عمّا يُرضي رغباته، ويُشبع غروره، فحقّف الكُثبان الرملية، ونحت من الجبال بيوتا، حتى وصل إلى مرحلة صار يبني القبور كما يبني القصور، في إتقان وفخامة، بما يعكس الثراء وعلو المرتبة الاجتماعية، فأعمل عقله في ابتكار تشكيلات هندسية فريدة من نوعها، جسّدت ذكاءه وفطنته، تجبّره وغطرسته أحيانا، واعتزازه بنفسه وفكره، وقوته وتكبره في كثير من الأحيان، وعكست جنون العقل المُبتكر الخلاّق، لكن من دون وجود إلى ضابط يكبحه، ولا قانون يردعه، في إنشائه للنماذج الهندسية التي بقي التاريخ شاهدا على آثارها...

وحين جاء الإسلام بتعاليمهِ ومنهجهِ ومقاصدِ قرآنهِ، قوّم إنسانية العنصر البشري وفكره، ومنحه بوصلة حضارية وسلوكية –إضافة إلى ما كان يملك– وافقت الرؤية الإسلامية في مقاصدها الدينية، ليستوعب الإنسان المسلم مختلف مناحي الحياة من خلال علاقاته؛ بنفسه وربه، وأسرته ومحيطه، وانشائه وابداعه، كما منحته الطريق المنهجي المؤسس الذي يضبط سيره وتصرفاته، وطريقة تفكيره، ومن أبرز مجالات الحياة التي وقف الإسلام عند خصوصيتها البناء والعمران، والتي ابتدعها الإنسان بصفة عامة، والمسلم بصفة خاصة، وسخرها لتؤدي وظائف الراحة والسكينة والخصوصية والجمالية والحماية، وقد ذكر القرآن الكريم العمران والبناء في أكثر من موضع، وإذا تأملنا سوره وآياته يلفت نظرنا أن الله سبحانه وتعالى قد اختار أسماء بعض منها ارتباطا بالعمارة والتعمير كسورة (الكهف) و(الحجرات) و(البلد)، كما جاء ذكر العمارة بلفظها أو اشتقاقها في آيات عديدة منها قوله تعالى:﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾[1]، وقول تعالى:﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2]، كما جاء ذكر أسماء بعض المدن والقرى مثل بكة (مكة) في قوله تعالى:﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾[3]، «ولم يكتف القرآن الكريم بذلك، بل قص علينا من خلال آياته بعضا من جوانب الحضارات المعمارية للأمم السابقة، وما كانت تحويه من تقدم عمراني وحضاري كبير»[4]، كما جاء في السيرة العطرة أدلة على مشروعية بناء السكن، ومن ذلك ما رواه عثمان بن عفان–رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: «ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال؛ بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز»[5].

وفن العمارة، من الفنون الأساسية التي تمتلك طابعا خاصا ومميِّزا، لأنّ العين تتبيَّنُه مباشرة، سواءٌ كان نتيجة للتصميم الإجمالي، أو العناصر المعمارية المميِّزة، أو حتى الزخارف الفنية المستعمَلَة، وقد نبغ المهندس المسلم في أعمال البناء والهندسة؛ فوضع الرسوم والتفصيلات الدقيقة، والنماذج المجسّمة اللازمة للتنفيذ، إلى جانب المقاسات الابتدائية، والأبعاد الانشائية، ولا شَكَّ أن كل ما احتاج إليه في هذا العلم، دفعه إلى التعمُّق في علوم الرياضيات والميكانيك، وعلوم الأرض، من دون أن يهمل علم الجمال والإبداع الفني والحسي للهندسة، وفي سياق هذه الكوكبة من العلوم، كان القرآن الكريم

---

[1] سورة الطور الآية 4

[2] سورة الروم الآية 9

[3] سورة آل عمران الآية 96

[4] يحي وزيري: العمران والبنيان من منظور الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت، ط1، 2008، ص24

[5] الغزالي (صالح بن أحمد): ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية، دراسة فقهية مقارنة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1414هـ ص394

حاضنا وموجها، بتعاليمه وتشريعاته، وضوابطه، ودلالات آياته، فما هي العمارة والعمران؟ وكيف ذُكر البناء والعمران في القرآن؟ ما هي أسس البناء الحضاري والعمران في القرآن؟ وما هي مقاصد القرآن؟ ما هي ضوابط العمارة من خلال الرؤية المقصدية للقرآن؟ وهل وافقت أنماط البناء والعمران مقاصد القرآن؟ وهل خصصت في القرآن مواقف وآيات بيّنت الصيغة الأساسية للبناء الحضاري والعمران؟ وكيف وجه القرآن بمقاصده الهدف الأساسي للبناء الحضاري والعمران؟

1-مفهوم العمارة والعمران:

أ-لغة:

جاء في كتاب العين: «عمَّر النَّاس الأرض يعمرونها عَمارة، وهي عَامرة، مَعمورة، ومنها العُمران، واستعمر الله الناس ليعمروها»[1]، «وعمَّر الأرض، بنى عليها، والخرابُ: ضد العمران»[2]

والعُمران: «اسم للبنيان، لما يعمر به المكان، وبحسن حاله بواسطة الفلاحة، وكثرة الأهالي، ونجاح الأعمار والتمدن»[3]، «والعمران أيضا هو التمدن من إنشاء وتحسين»[4]، ويتضح من خلال هذا المفهوم أَنّ العمران والبنيان مترادفان، لذلك يستعمل الناس العمارة «بمعنى البناء المرتفع الكبير، ويستخدم مصطلح العمارة، بما يقابله بالإنجليزية: architecture»[5]

ب-اصطلاحا:

أما في اصطلاح المهندسين يقول فارس المالكي: «يعرف المهندس (جان نوفل Jean Novel) العمارة كما أراها إنما تهدف إلى خلق صور، لا تنظيم المكان فقط، فهي محصلة دراسات عديدة لابد من النظر إليها بكلية وشمول»[6]،

---

[1] الفراهيدي (أبو عبد الرحمن خليل بن أحمد، ت 175هـ): العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص681

[2] ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، ت: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1041هـ-1981م، ص347

[3] سعيد الخوري الشرتوني: أقرب الموارد في فُصَحِ العربية والشوارد، طبع في مطبعة مرسلي اليوسعية، بيروت، لبنان، 1889، ص-ص 829-830

[4] حسن سعيد الكرمي: الهادي إلى لغة العرب، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص-ص266-268.

[5] أصل مصطلح (architecture) لغويا هو(Architect+(ure) ، ولفظة (ure)مصدرها (ura) باللغة اللاتينية، وتعني (فعل أو عمل أو ناتج)، أما لفظة (Architect) قد دخلت اللغة الانجليزية لأول مرة في القرن 16، وأصلها إغريقي (archi)+(tekton)حيث (archi) تعني (الرئيس، الأستاذ، المسؤول)، أما (tekton) فتعني: (العامل، البناء، الصانع الرئيس)، وبجمعها معا، فإن (Architect) تعني رئيس العمال أو البنائين أو الصانعين، ومنسق أعمالهم، أو هو العامل، البناء، الصانع الرئيس، أو المهندس المعماري، لذلك يمكننا القول أن لفظة (architecture) : ذات دلالة مادية عملية جاءت أصلا من طبيعة المهنة أو عملية الإنشاء والبناء والتركيب، وهي أسلوب البناء، والتي تعني باللغة الإنجليزية: (Style of construction)

أما لفظة: (**عمارة**) فهي ذات دلالة معنوية روحية تتعلق بإضفاء الوجود الإنساني على المكان المادي، ومن الواضح الفرق الكبير بين الاثنين، فالثاني يحمل معاني معنوية روحية، والأول يحمل معاني مادية، وقد أصبحا يستعملان للدلالة على معنى واحد، رغبة في الجمع بين ما هو مادي وما هو روحي، فكل عملية إنشائية تركيبية، تحتاج إلى إضفاء الوجود الإنساني واللمسة الروحية التي تمنحه ما يشبه النبض والحياة، سعاد عبد العلي مهدي، عمارتنا: إشكالية الهوية، بل إشكالية التعريف، المؤتمر المعماري الأول لنقابة المهندسين الأردنيين، عمَّان، الأردن، 1998، ص-ص 128-130 بتصرف.

[6] فارس المالكي: العمارة المعاصرة في العالم الإسلامي، المؤتمر المعماري الأول لنقابة المهندسين الأردنيين، عمَّان، الأردن، 7-10 سبتمبر، 1998، ص 97

ويعرفها المهندس (لوكربيزييه Lecorbusier) بأنها: «اللعب المتقن والصحيح والرائع بالكتل»[1]، لكن العمارة عند عماد محمد عدنان: «لا تقتصر على الجدران الأربعة وما يعلوها من سقف، بل تتعدى بمفهومها لتشمل الخدمات المساعدة والتسهيلات التي تقدمها للمجتمع، لكي يستطيع الإنسان الحياة فيها بانسجام واستقرار، متمتعا بالراحة والهدوء»[2]

والعمارة عند صالح بن أحمد الغزالي، «تشييد مبان تتوفر فيها شروط الانتفاع والمتانة والجمال والاقتصاد، وتفي باحتياجات الناس المادية والنفسية والروحية، الفردية والجماعية في حدود أوسع الإمكانيات وبأحسن الوسائل المتوفرة في العصر الذي تكون فيه»[3]، ويجمل عفيف بهنسي، فكرة العمارة بقوله: « العمارة هي الوعاء الحضاري الذي يستوعب نشاطات إبداعية وأدبية واجتماعية معينة، وشكل هذا الوعاء ينسجم مع مضمونه، فليس من فاصل بينهما»[4]، وهي بذلك وعاء المجتمع الذي يعكس مجموع القيم التي تضبط سلوك الأفراد وثقافتهم المشتركة، وعليه فإن غياب التوافق بين هذا الوعاء ومطالب المجتمع، سيؤدي حتما إلى الاصطدام بين الطرفين، نظرا لعدم إمكان استيعاب أنشطة ذلك المجتمع وأسلوب حياة أفراده.

وإذا أردنا مفهوما جامعا، فإننا نجمل المفاهيم السابقة للعمارة التي: تضمن السلامة، والراحة النفسية، وسهولة الحركة والوظيفة، بالإضافة إلى عنصري الجمال والاقتصاد، ومجمل القول إن العمارة هي الفن العلمي الذي يسعى لإقامة مبانٍ تتوافر فيها شروط الانتفاع والمتانة والجمال والاقتصاد، وتفي باحتياجات الناس الإيمانية، والنفسية، والمادية، والفردية، والجماعية، بأحسن الوسائل المتوفرة في العصر الذي تكون فيه، وألا تتناقض مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان، وأن تعكس التراث الحضاري لهذا الإنسان والثقافة التي ينتمي إليها.

2-خصائص العمارة الإسلامية:

يعالج بحثنا العمران وعلاقته بالمقاصد الشرعية للقرآن، لذلك من الواجب الوقوف عند أهم مميزات العمارة الإسلامية[5]، ونجملها في الآتي:

-عمارة وظيفية، فهي مكان للراحة والهدوء والطمأنينة والخصوصية وتحقيق الذات.

-عمارة تتجنب المخيلة والتفاخر والإسراف والتطاول، وتعبر عن التواضع والجمال.

---

[1] حَكَم الطاهر: نظريات العمارة والتصميم المعماري، عمان، الأردن، ط1، 1985، ص 9.

[2] عماد محمد عدنان تنبكجي: النظرة المعمارية لمسألتي السكن والإسكان، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1991، ص6

[3] الغزالي (صالح بن أحمد): حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية، المرجع نفسه، ص 412. "وتفي باحتياجات الناس المادية والنفسية والروحية " كذا وردت، وعلق عليه صاحب الكتاب بقوله: والصواب أنه لا تفي بمطالب النفس والروح، غير الشرائع الربانية المنزَّلة من عند الله عز وجل.

[4] عزت السيد أحمد: عفيف البهنسي والجمالية العربية، دراسة وحوار، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص115.

[5] تم جمع واستخلاص هذه العناصر من المصادر التالية: مقالة: القرآن الكريم مفتاح للبحث العلمي لعلم العمارة ونظرياته حفصة رمزي العمري، ص54 ومقالة: كيف يساهم الفكر المعماري الإسلامي في بلورة الهوية المعمارية الإسلامية صقر مصطفى الصقور، المؤتمر المعماري الأول، ص-ص 164-165، عفيف البهنسي: العمارة العربية، الجمالية والوحدة والتنوع، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المغرب، ط1، 2008، ص-ص 93-95.

-عمارة تحترم حقوق الآخرين وخصوصيتهم من جيران ومارة، فتراعي ستر العورات، وعدم الاطلاع عليها.
-عمارة لا تقدس الشكل الذي يتغير من وقت إلى آخر ومن مكان إلى آخر.
-عمارة تحترم المقياس الإنسانية، باعتبار الإنسان هو المخلوق الذي كرمه الله تعالى، على بقية المخلوقات.
-عمارة تراعي العلاقات الاجتماعية، حيث تقوم على الربط بين البيوت القائم على الربط بين أبناء الحي الواحد تعبيرا عن الوحدة والترابط، وتراعي حقوق الجوار، حتى أنها تعطي للجار حق غرس الخشبة في جدار جاره الملاصق له.
-يكون محور البيوت، المسجد، الذي غالبا ما يكون في وسط أو في مكان مرتفع، حتى يوصل الأذان إلى كل بيت، يحييه بذكر الله، ويأخذ منه الجميع التوجيه والمواعظ والتربية، وعلى هذا الأساس يكون الربط بين أفراد المجتمع.
-عمارة تتصف بالتناسق بين الأبنية والفراغ الذي يحتويها.
- عمارة تنطلق من قيم المجتمع المسلم، مع احترام لأسلوب حياة المستعملين، بمعنى آخر، تترجم النظام الاجتماعي إلى عناصر معمارية يتم من خلالها ممارسة المستعملين لحياتهم اليومية بحرية تامة.

3-مقاصد القرآن:

أ-لغة

جاء في معجم مقاييس اللغة، دلالة الجذر (ق ص د) في ثلاثة؛ أول يقول: «القَافُ والصّادُ والدّالُ أصول ثلاثة، يدل أحدها على إتيَان شيء وأَمّهِ، والآخر على اكتنازٍ في شيء، فالأصلُ: قصدته قصدا ومقصدا، من الباب: أَقْصَدَهُ السّهم، إذا أصابه فقُتل مكانه، وكأنّه قيل ذلك لأنّهُ لم يحد عنه(...) والأصلُ الآخر قصدتُ الشيء كسرته، والقِصْدةُ: القطعة من الشيء إذا كُسرت(...) والأصلُ الثالث: الناقة القصيد؛ المكتنزة الممتلئة لحما(...)»[1]

أما في لسان العرب: «القصدُ: استقامة الطريق، قصد يَقْصِدُ قصْدًا، فهو قاصدٌ، وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي على الله تبيين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبراهين، " وَمِنْهَا جَائِرٌ" أي ومنها طريق غير قاصد، وطريقٌ قاصد: سهل مستقيم(...) قال ابن جني: أصلُ "ق ص د" ومواقعها في كلام العرب الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء، على اعتدالٍ كان ذلك أو جور (...) وإن كان قد يُخصّ في بعض المواضع بقصد الاستقامة دون الميل»[2]

ب-اصطلاحا:

قال الشاطبي، في استفتاح مسائل الكتاب في الموافقات: «إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة(...) وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه؛ لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك؛ لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها، واللحاق بأهلها، أن يتخذه سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي؛ نظرا وعملًا، لا

[1] ابن فارس (أحمد بن زكريا أبو الحسين): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، سوريا، المجلد 5، 1399هـ-1979م، ص-ص 95-96 مادة (قصد)

[2] ابن منظور: لسان العرب، المرجع نفسه، ص 3642 مادة (قصد)

اقتصارا على أحدهما»[1]، وهو بذلك «يعتبر إدراك مقاصد الكتاب معيارا لضبط الفهم عن الله ورسوله، ولا يكون إدراكها إلا عن طريق إدمان الفكر، وإمعان النظر في تواؤم الآيات والتفافها حول شطط الفكر، (...) فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد»[2]، فالالتفات والتدبر في القرآن الكريم، هو السبيل لتحصيل فهم كلياته الجامعة إلى مقاصد القرآن.

ويقول في كتاب الاعتصام: « إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية أو السورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها؛ فلم يتعد ذلك فيها، وإذا جهل فيما أنزلت احتمل النظر فيها أوجها»[3]، فمعرفة سياق نزول السور والآيات عامل فهم مهم للإحاطة بمقاصدها، والنأي عنه سبب فساد في الفهم، وهو ما يؤدي للاختلاف والتنازع.

ومضمون النصوص السابقة يبين بوضوح قضيتين مهمتين: سبيل إدراك مقاصد القرآن هو عمق النظر في الآيات، حتى تتآلف معانيها حول كليات جامعة، ذلك لما للمقاصد من أثر كبير في تصحيح مسار فهم الآيات وحسن تنزيلها.

وهذا ما يمكن من تحصيل صياغة لتعريف مقاصد القرآن، تترجم نظرة الشاطبي لها، فتكون: «مقاصد القرآن: هي ما تعبر عن كليات القرآن الكريم، والتي تجمع معانيه المتناثرة لأغراض متعددة، تتفق لتحقق أهداف تشريعية توصل المخاطب بالقرآن لتحقيق الانتصاب الأكمل في مقام التشريع، وتحديه إلى معرفة أغراض ومكنونات الاسخلاف في الأرض كما ترجمها كتاب الله تعالى في أخبار الأنبياء والأمم السابقة، وأنباء الغيب، والأمثال المحققة لأرفع صورة في الامتثال»[4].

أما علال الفاسي، والذي أخذ الكثير عن آراء الشاطبي، فيرى في كتابه مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، أن «المراد بمقاصد الشريعة؛ الغاية منها؛ والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها»[5]، ولأنّ مقاصد القرآن هي ما تعبر عن كليات القرآن الكريم، فإنه لم يهمل شاردة ولا واردة إلاّ أحصاها وفصلها، قال الله تعالى:﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[6]، وقال أيضا: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾[7]، ولأنّ العمران والبناء من المواضيع التي لم يهملها القرآن الكريم، فما هي مقاصد القرآن وعلاقتها بالبناء والعمران؟

4- مقاصد القرآن وعلاقتها بالعمران:

إن المتصفح لآيات القرآن الكريم، لا يمكن أن يغفل أنه أُنزل ليقوّم الفرد المسلم، من دون أن يُهمل كل جوانب حياته ومجتمعه، وجاء في كتاب التحرير والتنوير من التفسير: «إن القرآن أنزله الله تعالى كتاباً لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم قال الله تعالى: ﴿وأَنْزَلنَا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لكلِّ شَيء وهُدَى ورَحمَة وبُشْرَى للمُسْلِمِينَ﴾[8]، فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، والعمرانية؛ فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير، ثم صلاح السريرة الخاصة، وهي العبادات الظاهرة

---

[1] الشاطبي (إبراهيم بن موسى): الموافقات، ضبطه وحققه، أبو عبيدة بن حسين آل سلمان، دار بن عفان، ج1، د ط، د ت، ص200

[2] مراد بلخير: مقاصد القرآن عند الشاطبي، دراسة تأصيلية، مجلة المعيار، المجلد 23، ع 24، 2019، ص34

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[5] علاّل الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، المملكة المغربية، ط5، 1993م، ص7

[6] سورة الانعام الآية 97

[7] سورة الانعام الآية 38

[8] سورة النحل الآية 89

كالصلاة، والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر، وأما الصلاح الجماعي فيحصل أولا من الصلاح الفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع ، ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه، ومن شيء زائد على ذلك، وأما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي، وضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع، ورعى المصالح الكلية الإسلامية، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة لها، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع»[1]، وتركز مقاصد القرآن على الجانب العمراني لما فيه من أهمية، فهو حفظ نظام العالم الإسلامي، وواجهة الحضارة ورقيها.

ويُعرف بين الباحثين أن **إبراهيم بن موسى الشاطبي*** (790 هـ) ، أبرز من تحدث عن مقاصد الشريعة وبالأخص في كتابه "الموافقات"، لكن حديث الشاطبي، عن المقاصد كانت له صبغة العموم، فهو لم يجعل مباحث كتابه خالصه لأصول الفقه، على التقسيم المعتاد عند من تقدمه من الأصوليين، إذ كان مبتكرا في صياغة المباحث وفي طريقة العرض، يقول دراز عبد الله، في تقديمه للكتاب: « إن صاحب كتاب الموافقات، لم يذكر في كتابه مبحثا واحدا من المباحث المدونة في كتب الأصول، إلا إشارة في بعض الأحيان ، لينتقل منها إلى تأصيل قاعدة أو تفريع أصل »[2]

وقسم **الشاطبي** المقاصد في كتابه **الموافقات***، التي ينظر فيها الى قسمين: «**الأول ما لقصد الشارع**؛ أي ما يقصد اليه الشارع في المرتبة الاولى، يرجع ويكون ما عداه من المقاصد كأنه تفصيل له، وهي ضمان مصالح العباد الدنيوية والأخروية، **والثاني يرجع إلى قصد المكلف**؛ وهو أن يكون عمله بنية، وأن يكون مطابقا لما قصده الشرع، مع عموم الشريعة وعدم اختصاص البعض بها دون الآخر. ومع اعتبار العلل في مسالكها المعروفة؛ والحرص على ملازمة السنة، واجتناب البدعة»[3]، ثم يفصل فيها تفصيلا دقيقا فجعلها ثلاث مقاصد: «**الضروريات**؛ وأما الضروريات؛ فمعناها أنها لا

---

[1] محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير من التفسير، الدار التونسية للنشر، تونس، الكتاب الأول، 1984م، ص39

***هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي**: أصولي حافظ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية، من كتبه:"الموافقات في أصول الفقه" و"المجالس" شرح به كتاب البيوع من صحيح البخاري، و"الإفادات والإنشادات" رسالة في الأدب، و"الاتفاق في علم الاشتقاق" و"أصول النحو"، و"الاعتصام" في أصول الفقه، ثلاث مجلدات، و"شرح الألفية" سماه "المقاصد الشافية في شرح خلاصة الكافية"، خمس مجلدات ضخام، وفي خزانة الرباط مخطوطة من "الجمان في مختصر أخبار الزمان" منسوبة إليه. عبد الله دراز: الموافقات في أصول الشريعة، ص4

[2] عبد الله دراز: الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ-2004م، ص 9

* **كتاب الموافقات**، ألفه الحافظ إبراهيم بن موسى الشاطبي (790هـ-1388م) وهو في بيان مقاصد الكتاب والسنة، والحكم والمصالح الكلية الكامنة تحت آحاد الأدلة ومفردات التشريع، والتعريف بأسرار التكاليف في الشريعة، وقد اختار الشاطبي، للكتاب اسما غير اسم الموافقات وهو **التعريف بأسرار التكليف** إلا أنه عدل عنه إلى الموافقات، وكان ذلك بسبب رؤيا لأحد مشايخه حين قال الشيخ للإمام الشاطبي: "رأيتك البارحة في النوم وفي يدك كتاب ألفته فسألتك عنه فأخبرتني أنه الموافقات، وسألتك عن معنى هذه التسمية الظريفة فأخبرتني أنك وفقت به بين مذهبي ابن القاسم وأبي حنيفة" وقد أودع في مؤلفه كثيرا من الأسرار التكليفية المتعلقة بالشريعة وقد حصر كتابه في خمسة أقسام: **المقدمات العلمية** المحتاج إليها في تمهيد المقصود، **في الأحكام وما يتعلق** بها من حيث تصورها والحكم بها أو عليها، **في المقاصد الشرعية** في الشريعة وما يتعلق بها من الأحكام، في حصر **الأدلة الشرعية** وبيان ما ينضاف إلى ذلك فيها على الجملة، **في أحكام الاجتهاد** والتقليد والمتصفين بكل واحد منهما وما يتعلق بذلك من التعارض والترجيح والسؤال والجواب.

[3] علاّل الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، المرجع نفسه، ص13

بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج، وهي خمسة: حفظ الدين، والنفس، والمال، والعقل، والعرض، **والحاجيات**؛ فمعناها: أنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع التضيق؛ كالرخص، وإباحة الصيد، والتمتع بالطيبات مما هو حلال، و**تحسينيات**؛ فمعناها الأخذ بما يليق من محاسن العادات، وتجنب الأحوال المدنسات التي تأنفها العقول الراجحات؛ كإزالة النجاسة، وستر العورة، وأخذ الزينة»[1]، ولأن المقاصد الضرورية أجملت ما يجب توفره في الحياة من (حفظ الدين، حفظ النفس، حفظ العقل، حفظ العرض والنسل، حفظ المال)، سنكتفي بها في هذه الدراسة.

يرى علال الفاسي، أن للشريعة الإسلامية مقصدا عاما أصليا تتفرع عنه سائر المصالح الأخرى هو «عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها واستمرار صلاحها لصلاح المستخلفين فيها وقيامهم لما كلفوا به من عدل ومن صلاح في العقل وفي العمل وإصلاح في الأرض واستنباط لخبراتها و تدبير منافع الجميع استقامة»[2]، وقد استدل الفاسي، على قوله هذا بقوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[3]، والإصلاح الذي قصده الإسلام ليس هو مجرد إصلاح العقيدة، بل هو إصلاح أحوال الناس كلها، ومراعاة المصالح مقصد أساسي في الشريعة الإسلامية، ذلك أن مبدأ عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها، مبدأ حثت عليه الرسائل السماوية قاطبة، والقرآن الكريم خاصة، ويظهر ذلك في العنصر الموالي والذي سيُجمل أهم مصطلحات البنيان والعمران في القرآن الكريم.

5- البنيان والعمران ومصطلحاتهما في القرآن الكريم:

إنّ المتصفح لآيات القرآن الكريم يجد الكثير من المصطلحات ذات الدلالات المعمارية، وكذلك المصطلحات ذات الدالة على الإنشاءات أو المرافق، أو حتى منها الدالة على مواد البناء، وقد ذُكرت في سياقات مختلفة، سواء كانت في الحديث عن الأمم السابقة، أو حتى ما عاصر الرسول صلى الله عليه وسلم، من أحداث ومواقف أحوجته وصحابته إلى البناء وعمارة الأرض.

وقد حاول العلماء القدامى والفقهاء والمفسرون وحتى علماء الاجتماع والفلسفة، تفسير هذه الآيات والبحث في دلالاتها، كما لم يتأخر المعاصرون في إحصائها والبحث عن مدلولاتها، وقد نُشرت محاولات لبعض المعماريين لحصر وفهم تلك المصطلحات، من خلال سياق الآيات القرآنية التي وردت فيها، ونذكر من تلك المحاولات ما أورده «المعماري السعودي عبد العزيز عبد الله أبا الخيل في كتابه "**القرآن والسنة أساس تأويل العمارة الاسلامية**"، حيث أوضح الفرق بين بعض المصطلحات القرآنية كالبيت والمسكن، والقرية والمدينة والمدائن، كما نشير أيضا إلى دراسة المعماري الباكستاني البروفسير، أكرم جيلاني، في كتاب اهتم فيه بالهندسة المعمارية ومجالاتها، وتخطيط المدن وخصوصيتها، قام فيه بحصر العديد من المصطلحات القرآنية في مجالات متعددة متنوعة والتي وردت في بعض آيات القرآن الكريم، عنونه بـ: "الهندسة المعمارية

---

[1] الشاطبي (إبراهيم بن موسى): الموافقات، المرجع نفسه، ص 20

[2] علاّل الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، المرجع نفسه، ص-ص45-46

[3] سورة البقرة الآية 30

وتخطيط المدن في القرآن الكريم"(Architecture And Town planning in The Holy Qur'an)[1]«

ونذكر في هذا المجال أيضا دراسات الدكتور يحي وزيري، من خلال قراءته لآيات القرآن الكريم ذات الصلة بالعمارة والعمران، حاول من خلالها أن يستنبط المنهج الإسلامي لعمارة الأرض، وقد نشر العديد من البحوث والكتب في هذا المجال منها: "خواطر الشيخ الشعراوي حول عمران المجتمع الإسلامي" وكتاب "التعمير في القرآن والسنة"، وكتاب "اعجاز القرآن الكريم في العمارة والعمران"، وكتاب "العمران والبنيان من منظور الإسلام" وغيرها من الأبحاث والدراسات المنشورة، وسنحاول إجمال أهم المصطلحات التي وردت في مجال العمارة والعمران والإنشاءات ومواد البناء وفق الجدولين الآتيين:

أ- جدول لأهم المصطلحات المعمارية الواردة في القرآن الكريم:

المصطلحات المعمارية	الآية	اسم السورة ورقم الآية
بيت بيوتا	﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً﴾	النحل 80 الأعراف 74
مسكن	﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾	النمل 18
دار	﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ﴾	القصص 81
عِمَارَةَ	﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾	التوبة19
منزل	﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾	يس' 39
قصر	﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾	الحج 45
صرح	﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	النمل 44
برج	﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾	النساء 78
حصن	﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾	الحشر 2
مصانع	﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾	الشعراء 129

[1] يحي وزيري: مصطلحات العمارة والعمران في القرآن الكريم؛ نحو لغة معمارية دقيقة وموحدة" http://www.bonah.org

سد	﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾	الكهف 94
ساحة	﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾	الصافات 177
ملجأ	﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلا﴾ (مغارة، مدخل)	التوبة 57
مرقد	﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾	يس' 52
مضجع	﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾	آل عمران 154
مرفق	﴿ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾	الكهف 16
البلد	﴿لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾	البلد 1
البلدة	﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ﴾	النمل 90
	﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾	سبأ 15
المدينة	﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِّنَ ٱلأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ﴾	التوبة 101
المدائن	﴿ قالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾	الشعراء 36
القرية	﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾	هود 117
أم القرى	﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾	الشورى 7
البدو	﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾	يوسف 58

ب– جدول للمصطلحات الإنشائية ومواد البناء الواردة في القرآن الكريم:

الإنشاء ومواد البناء	الآية	اسم السورة ورقم الآية
بناء	﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء﴾	البقرة 22
البنيان	﴿فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾	الكهف 21
	﴿كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾	الصف 4
المسجد	﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾	التوبة 108
المصلى	﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾	البقرة 125
السجن	﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾	يوسف 33
النفق	﴿فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾	الانعام 35
سور	﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُور لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾	الحديد 13
جُدر	﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾	الحشر 14
جِدار	﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾	الكهف 77
الحجرة	﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	الحجرات 4

غرف	وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ	العنكبوت 58
سُقُفٌ السَّقْفٌ	﴿وَلَوْلا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فَضَّةٍ﴾ ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾	الزخرف 33 النحل 26
عمد	﴿فِي عَمَد مُمَدَّدَة﴾ ﴿اللّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾	الهمزة 9 الرعد 2
أوتاد	﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾	الفجر 10
ردم	﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾	الكهف 95
الصخر	﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾	الفجر 9
الحجارة	﴿قُل كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيداً﴾	الاسراء 50
الحديد	﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾	الحديد 25
الطين	﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾	القصص 38
التراب	﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾	الواقعة 47
الزجاج	﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ (القوارير)	النمل 44
الشجر الألواح الخشب	﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ ﴿وَحَمَلْنَاهُ على ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾	النحل 68 القمر 13 المنافقون 4

6- أسس البناء الحضاري والعمراني في الإسلام:

تقوم أسس البناء الحضاري والعمراني في الإسلام على القرآن الكريم، باتباع آياته وأحكامه ومقاصد الشارع فيه، والسنة النبوية الشريفة باتباع هدي النبي ﷺ في سيرته العطرة، يقول صالح بن أحمد الغزالي: «بالنظر في حقيقة البناء والمقصد منه، وعرضه على نصوص الشرع وقواعده، يتبين أن أسس العمارة والبناء يدور على الأحكام التكليفية الخمسة: الوجوب والندب والإباحة والكراهة والتحريم»[1]، وسنحاول تلخيصها في الجداول الآتية[2]:

[1] الغزالي (صالح بن أحمد): حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية، المرجع نفسه، ص 394

[2] تم تلخيص الأسس واجمالها في جداول من كتاب الغزالي (صالح بن أحمد): حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية، المرجع نفسه، ص-ص 394-398

البناء الواجب	أنواعه	دليله
هو ما كان ضرورة واجبة على الانسان كي يستتر من الحر والبرد، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾[1] يقول الطبري: «كان الحسن وقتاده يقولان: ثلاث لا يُسأل عنهن ابن آدم، وما خلاهن فيه المسألة والحساب إلا ما شاء الله، كسوة يواري بها سوأته، وكسرة يشد بها صلبه، وبيت يظله »	**الأول:** واجب على الفرد، فالبناء واجباً على الفرد القادر المستطيع له ولمن يعوله، بما يستر نفسه وعرضه وما لابد له منه في أمور الدين والدنيا. **الثاني:** يجب على ولي أمر المسلمين إعداد المرافق العامة التي لا غنى للمسلمين عنها في صلاح دينهم ومصالحهم الضرورية، قال ﷺ «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»	-يقول ابن مفلح «اعلم أن المسكن لابد للإنسان منه في الجملة فيجب تحصيله لنفسه ولمن تلزمه نفقته، ومثل هذا يعاقب على تركه ويثاب على فعله» عن عثمان بن عفان أن رسول الله ﷺ قال : «ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال؛ بيت يسكنه، وثوب يواري عورته، وجلف الخبز»

البناء المباح	البناء المندوب	البناء المكروه	البناء المحرم
حكم العمارة والبناء من حيث الأصل الإباحة إذا لم يقترن بمحرم لقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[2] والعمران والبناء مما خلق الله فيجوز فعله كغيره مما خلق وكذلك يجوز التوسع في العمارة والبناء، لقوله ﷺ «سعادة ابن آدم في ثلاثة وشقوته في ثلاثة، فمن سعادته: المرأة الصالحة، والسكن الواسع، والمركب الهنيء»، شرط أن يخلو من الرياء والإسراف	يندب في حق الفرد ما ذكر واجباً رعايته من قبل ولي أمر المسلمين من مصالح المسلمين الدينية والدنيوية المعتبرة والمشاركة فيها مثل بناء وعمارة المساجد والمستشفيات والمدارس، وكذلك والمنازل التي يأوي إليها أبناء السبيل، والملاجئ التي تؤوي الأيتام ونحو ذلك من أعمال البر والقربي مما يحصل به النفع للغير فيؤجر بذلك المنازل التي توقف على المحتاجين الذين لا مسكن لهم ولا مأوى	يكره البناء الزائد عن الحاجة كذلك المساكن الخارجة عن العادة في العرف إلى الإسراف ومجاوزة الحد، ومن الأدلة على كراهته: - ما رواه أبو داود في باب ما جاء في البناء مرفوعاً : « كل بناء وبال على صاحبه إلا ما إلا ما » ، يعني ما لابد منه. - عن الخباب: «إن العبد ليؤجر في نفقته كلها إلا التراب، أو قال في البناء»	يحرم البناء في صور متعددة من أهمها: 1 -إذا كان البناء من مال حرام كالمال المسروق والمغصوب فيحرم التصرف به في البناء وغيره 2 -إذا قصد بالبناء محرم، نحو بناء دور العبادات الباطلة، وبناء مراكز تعليم، المذاهب الباطلة والأفكار المنحرفة، وبناء الدور المعدة للمعصية كدور الربا والزنا والخمر والميسر والتمثيل والغناء المحرمين فيحرم البناء في هذه المواضع لما فيه التعاون على

[1] سورة التكاثر الآية 8

[2] سورة البقرة الآية 29

			الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[1]

وللبناء فوق الحاجة صوراً عديدة من أهمها[2]:

1-استخدام مساحة كبيرة من الأرض التي يبنى عليها، في حين أنه يُحتاج إلى أقل من ذلك.

2-استخدام كمية كبيرة من مواد البناء لبناء المسكن، أو ترميمه.

3-الزيادة في البنيان وتوسعته زيادة عن الحاجة، دون استعماله.

4-أن تجعل أشكال وتصاميم معمارية لمجرد الزخرفة وليست وظيفية هادفة.

5-تغطية الجدران بالمبالغة في تزيينها بالزخرفة أو غيرها مما لا حاجة إليه من البناء والزينة.

6-مدينة غرداية*:

إنّ المتجول في أروقة مدينة غرداية، أو حتى من قرأ عنها، يقف باعتزاز أمام كل دراسة «تميط اللثام عن المبادئ التي تقوم عليها المدنية الإسلامية من خلال الأحكام الشرعية مما يميزها عن أي مدنية أخرى (...)، وتعدد ارتباط مختلف أوجه العمران في المدن الإسلامية بالأحكام الشرعية ، هذا الارتباط هو الذي يعطي العمران الإسلامي خصوصياته، ويبين أنه لا يمكن فصله عن العقيدة والشريعة، مما يضفي عليه بعداً روحياً (...)، ويتحلى بوضوح من خلال هذا التداخل بين مسائل العمران والأحكام الشرعية»[3]، هذه المدينة العتيقة بخصوصية معمارها، ودفء أزقتها، ورحابة صدر أهلها، حافظت على هذه الأعراف التقليدية المعمارية كونها مستوحاة من مبادئ سامية، ويحصر الشاطبي، المقاصد الضرورية بقوله: «فمعناها أنها لا بد منها في قيام مصالح الدين والدنيا، بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة بل على فساد وتهارج،

---

[1] سورة المائدة الآية 2

[2] صالح بن أحمد الغزالي، حكم ممارسة الفن، المرجع نفسه، ص 427 بتصرف.

*تقع **مدينة غرداية** (تغردايت) شمال الصحراء الجزائرية، مساحتها 86105 كلم^2، تمتد من الشمال إلى الجنوب على طول 450 كلم، ومن الشرق إلى الغرب من 200 إلى 250 كلم، ترتفع عن مستوى سطح البحر بـ 486 م، يعود تعمير هذه المنطقة إلى آلاف السنين، ودليل ذلك تلك النقوش البربرية على الصخور، والتي تعود إلى 3 آلاف سنة قبل الميلاد، وقد شهدت المنطقة قيام الكثير من القرى والقصور السكنية، وتشكّل المعالم الأثريّة والقصور السّبع في مدينة غرداية الجزائريّة ، فسيفساء رائعة شكّلت من جمال المكان قلعة من قلاع الماضي الممتدّ عبر الأمكنة والأزمنة التي تتعانق مع الحاضر، وفيها تمتزج جماليّة الكثبان الرّمليّة والتي تشكّل هي الأخرى أشكالًا هندسيّة متنوّعة تعطي صورة حقيقيّة عما تختزنه الصّحراء العميقة من طبيعة خضراء ومياه تنبثق من الصّخور المتراصّة والمتلألئة كحبّات الياقوت، تتميز بالمعمار الدائري، يتوسط السوق المدينة، وتلتف حوله السكنات، أما المساجد والقصور فتم اختيار الهضبة كمكان استراتيجي لبنائها، كل المدينة موحدة في شكلها، متجانسة في ألوانها، أما قصورها السبعة هي: قصر العطف (تاجنينت) تأسس 1012م، قصر بنورة (آت بنور) 1046م، قصر غرداية (تغردايت) 1053م، قصر بني يزقن (آت يزجن) 1353م، قصر مليكة (آت مليشت) 1355م، قصر القرارة (ايقرارن) 1630م، قصر بريان (آت برقان) 1690م. إسكافيي كازانوفا: دليل المواقع والمعالم التاريخية بوادي ميزاب، برنامج ممول من الاتحاد الأوروبي، 2009، ص19 + https://ar.wikipedia.org/wiki/

[3] مصطفى أحمد بن حموش: فقه العمران الإسلامي، من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، 956هـ-1549م/1242هـ-1830م، دار التراث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الامارات العربية المتحدة، ط1، 1421هـ-2000م، ص 5

وهي خمسة: حفظ الدين، والنفس، والمال، والعقل، والعرض»[1]، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[2]، لهذه الآية وقع في قلوب السلف من المسلمين الذين أسسوا مدينة غرداية بمعمارها المميز، والجدول الموالي جدول توضيحي يجمع بين خصوصية المعمار في مدينة غرداية وضوابط العمارة وفق مقاصد القرآن حسب رأي الشاطبي.

خصوصية العمارة في مدينة غرداية	ضوابط العمارة وفق مقاصد القرآن
أ–مبدأ حفظ الدين: **–المساجد:** يتوسط المسجد كل المساكن والمرافق العمومية، كي يصل صوت الآذان إليها، أو أن يكون في مكان عالٍ، من خلال اختيار الهضبة كموقع استراتيجي لبناء المرافق المهمة كالمسجد، فالمسجد جامع المسلمين، ومكان لقاءهم، ومشورتهم، لذلك وجب أن يكون جامعا للمساكن، أو في مكان عالٍ، لمكانة هذا الصرح في قلوب المؤمنين.	قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ۖ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ سورة التوبة الآيتين 17–18 يقول تعالى :﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ سورة النساء الآيتين 26–27
ب–مبدأ حفظ النفس: –استعمال مواد البناء المحلية المتأقلمة مع مناخ المنطقة (الحجر، الرمل الصلصالي، الجير، الجبس، جذوع النخيل...) وقد تعودت الطبيعة البشرية للقاطنة على هذه المواد المحلية، والنفس تألف ما تعودت عليه، وقد بين الله في القرآن الكريم المواد التي يمكن استعمالها في البناء والتي سبق ذكرها. **سقيفة المنزل**[3]: يعتمد نظام العمران في واد ميزاب على ما يُسمى المدخل المنكسر لسقيفة المنزل، وهو تقنية في البناء تكون فيها سقيفة المنزل بمدخل منكسر، أي يكون فيه الجدار المواجه لمداخل الدار كستار للبيت، يمتد حتى	قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾ سورة النحل الآية 80 قال تعالى: ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ النحل 68 قال تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ سورة النور الآية 31

[1] الشاطبي (إبراهيم بن موسى): الموافقات، المرجع نفسه، ص20

[2] سورة التوبة، الآية 109

[3] وزارة الثقافة: أنواع التسقيف في البنايات التقليدية بوادي ميزاب، دوان حماية واد ميزاب وترقيته، 2013، ص18

يحجب النظر عن كل جزء من أجزاء الدار، كما يحجب عمن داخل الدار. **اتجاه المنزل:** من الأفضل أن يكون اتجاه البناية نحو الجنوب الشرقي والجنوب الغربي، مما يمكنها من توفير الحد الأدنى من الكسب الشمسي صيفا، ومن الحد الأدنى من الضياع الحراري شتاء. -تأقلم المباني مع المناخ التهوية واستغلال الشمس (الاتجاه الجنوبي الشرقي).	قال تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ سورة البقرة الآية 144 ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ سورة البقرة الآية 115
ج-مبدأ حفظ العرض: وحفظ المرء لعرضه، وحفظه لعرض الآخرين، يضمن استقرار النفوس، والاحترام المتبادل بين المسلمين. **-** ارتفاع جدران السطوح العلوية؛ يجب أن يكون ارتفاع جدران السطح في الطابق الأول أو العلوي إلى حد ما يستر نظر صاحبها عن الجيران. -عدم منع حجب أشعة الشمس عن الجيران. -الأخذ بعين الاعتبار العامل الدفاعي وعامل الوقاية من خطر الفيضانات. - **إحداث المرافق:** إذا أراد أي شخص إحداث مطبخ دورة المياه، أو الأدرج وغير ذلك فيجب عليه أن يخلّف حرما لجاره قدره ثلاثة أذرع. **شكل فتحات المسكن:** يجب أن تكون فتحات المسكن وخاصة التي تطل على الشارع مباشرة عمودية وقليلة أيضا لتقليص تسرب الهواء الساخن والرياح الرملية إلى داخل المسكن حفاظا على العزل الحراري وعلى حرمة المنزل من جهة أخرى.	قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ سورة النور 27-28 ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ سورة الحجر 88 قال الطبراني: «حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ بْنِ نَجْدَةَ الْحُوطِي حَدَّثَنَا عُتْبَةُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الرَّخْصِ الحَمْصِي حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَيَّاشٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْهُذَلِي عَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: **قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَا حَقُّ جَارِي عَلَيَّ** قَالَ إِنْ مَرِضَ عُدْتَهُ وَإِنْ مَاتَ شَيَّعْتَهُ وَإِنْ اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ وَإِنْ أَعْوَزَ سَتَرْتَهُ وَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ **وَلاَ تَرْفَعْ بِنَاءَكَ فَوْقَ بِنَائِهِ فَتَسُدَّ عَلَيْهِ الرِّيحَ** وَلاَ تُؤْذِهِ بِرِيحِ قَدْرِكَ إِلاَّ أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا»[1]

[1] الطبراني (أبي القاسم سليمان بن أحمد 260هـ-360هـ): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ج13، ط2، 1983، رقم 1014

د–مبدأ حفظ المال: –عدم التطاول في البنيان، والاكتفاء بطابقين اثنين. –الاقتصار على مواد البناء اللازمة والضرورية. –استعمال مقاييس ونسب بحسب الحاجة والضرورة. – **احترام ارتفاع المسكن:** فلا يجب أن يتعدى ارتفاع المسكن، 7.5م من مستوى سطح الأرض – **اختيار مواد البناء المحلية:** يجبذ أن تكون مواد البناء محلية (الحجر، الجير) وذلك لما لها من صفات التكيف مع البيئة المحلية، وعطالتها الحرارية المرتفعة، أي أن هذه المواد تلعب دور مخزن يملأ نهارا ويفرغ ليلا، كما تعطي للبناية على مدى السنة درجة حرارية داخلية تقريبا مستقرة أي التكييف الطبيعي الداخلي(microclimat). – **مقاس فتحات النوافذ:** فتحات النوافذ تكون عمودية ولا يتعدى عرضها 60 سم وتكون بسيطة في الشكل ولا يجب أن تحوي أي نوع من الزخارف أو إلصاق بعض عناصر التزيين الغريبة عن النمط المعماري المحلي.	قال تعالى: ﴿لكن الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ﴾ الزمر 20 قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ التوبة 109
هـ–مبدأ حفظ العقل: – **الهيكلة العمرانية الخاصة والموحدة** (prototype) (في المسجد، والقصر، والمساكن، والمرافق العمومية، والأزقة والشوارع) عملا بعدم الإسراف، واتباع مبدأ حفظ العقل من خلال حفظ الدين والمال، فالعمارة في مدينة غرداية عمارة موحدة في البناء والشكل واللون حتى لا يمكنك تمييز مساكن الأغنياء عن مساكن الفقراء، الكل سواسية، فالعقل إذا تعددت النماذج كثر تفكيره، وكثرةُ التفكير مدخل لوساوس الشيطان، فالنموذج الموحد يصرف العقل للتفكير في أشياء أخرى بدل التفكير في البناء وتعدد هياكله واشكاله. – **واجهة المنزل(façade)**: يجب صقل الواجهات الخارجية للمنزل بملاط الجير الملون بلون الرمل بالطريقة	قال تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ سورة الأعراف الآية 31 قال البخاري في الأدب المفرد: «حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُنْذِرِ قَالَ حَدَّثَنَا بْنُ أَبِي فَدِيكٍ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي يَحْيَى عَنْ سَعِيدٍ

التقليدية، أي بترك نتوءات لإنشاء مناطق صغيرة مظللة لمنع تعرض الجدران لأشعة الشمس المباشرة خلال الفترة الصيفية خاصة. **– وحدة اللون الخارجي:** على جميع البنايات القديمة والحديثة أن يكون لون طلائها رملي أو ما شابهه لما يتميز به هذا اللون من تأقلم وتكامل مع البيئة المحيطة به.	بْنِ أَبِي هِنْدٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ **حَتَّى يَبْنِيَ النَّاسُ بُيُوتًا يُوشُونَهَا وَشْيَ الْمَرَاحِيلِ**»[1] أي الثيابُ المخطَّطةُ، لذلك كانت وحدة المظهر والشكل واللون لازمة في البناء الاسلامي.

7–عُرف المسكن في واد ميزاب:

أ– وحدة مظهر المسكن:

–« يجب أن تبدي جميع البنايات بساطة في الحجم ووحدة في المظهر ليعطي للمدينة تناغما وتناسقا عاما(Homogène).

– جميع البنايات يجب أن تكون مغطاة بأسطح أفقية وتمنع جميع أشكال الأسطح الأخرى.

– الواجهات يجب أن تكون مصممة حسب النمط المعماري المحلي، ويجب أن تكون متجانسة فيما بينها من حيث: العلو، الفتحات، التلبيس، اللون...إلخ

– يكون ارتفاع وحجم المسكن وواجهته متناسقا مع البنايات المجاورة وهذا تكريسا لمبدأ المساواة وعدم التطاول والمباهاة في البناء»[2].

–إعلام الجار بالأشغال: عند بناء أي مسكن يجب على صاحبه إعلام جاره مسبقا لا سيما احترام الجدار الموجود بينهما

–جدران التحويط: «يجب أن تكون مطابقة للشكل المحلي أي مبنية بالمواد المحلية (بالحجارة) وكذلك الامر في كل البنايات يجب أن تكون في أبسط أشكالها مع اجتناب كل عنصر تزييني غريب عن المنطقة وكذا جميع أنواع السياجات الحديدية، وضروري أن تبني بالحجر والجير، وإن استلزم غير ذلك فيجب أن تكون مليسة بملاط الجير وملونة باللون الرملي أو ما شابهه، كما لا يحجب الشمس عن الجار الشمالي الملاصق والجار الشرقي، ويضمن كذلك وحدة في المظهر العام للبناء»[3].

–تلاصق البنايات: التجاور مسموح به، وهذا أسلوب في البناء ساد بين الصحابة وإن لم يكن هناك تلاصق يجب ترك 1م على الأقل عن حائط الجار من خلال السماح بغرز خشبة الجار في جدار جاره، حتى يدعم جداره أو يسقف بيته، قال مسلم: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

[1] البخاري (محمد بن اسماعيل): الأدب المفرد، بتعليقات؛ محمد ناصر الدين الألباني، د ط، د ت، رقم 777، ص 175

[2] André Ravéreau : Le M'Zab une d'architecture, Sandbad ,1997, p-p 97-98

[3] وزارة الثقافة: البناء بالحجارة؛ تحضير البلاط وتقنيات البناء، ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته، 2012، ص8

قَالَ: **لاَ يَمْنَعْ أَحَدُكُمْ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ**، قَالَ ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَاللَّهِ لأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ[1].

–حرمة الممرات والأزقة(Impasse): الممرات والأزقة والشوارع مرافق عمومية لجميع أهل البلدة يجب احترامها والمحافظة عليها، فلا يسمح بانتقاصها من جوانبها باقتطاع أرصفة لحماية جدران البيوت.

– من اقتضت مصلحته أو تصميمه الخاص لمسكنه أن يرفع أرضية داره عن مستوى أرضية الزقاق لسبب أو لآخر فعليه أن يتخذ درج الصعود إلى داره من مساحتها من الباب نحو الداخل وفي كل الأحوال تخضع الدار للشارع وليس العكس.

–منع فتح الأبواب نحو الشارع: لا يسمح بفتح أبواب المسكن وكذلك الدكاكين المستودعات مباشرة نحو الخارج حتى لا يتأذى المارة.

–منع عناصر التزيين: اجتناب كل عناصر التزيين الغريبة عن المنطقة وجميع عناصر الزخرفة خاصة على الواجهة.

–تصريف المياه: لا يسمح بتصريف المياه المستعملة أو مياه السطوح ما عدا مياه الأمطار مباشرة في الأزقة، بل يجب على كل مواطن أن يوصلها بشبكة الصرف الصحي، إذا كان مصب ماء المطر (السوفير) أمام عتبة الجار المقابل ينبغي على صاحبه اتخاذ الحل كالقنوات إلى أسفل والضرر يزال.

–دورة المياه: بما في ذلك المراحيض وبيوت الاستحمام حيث لا تضر بالجار الملاصق عند تسرب شيء منها بالتصدع أو الانشقاق في البنيان أو التجهيزات، ولتكن مما يلي الزقاق، وإذا اضطر إلى ذلك فعليه باتخاذ الاحتياطات اللازمة لكف الضرر عن الجار.

ب–الممنوعات

–منع تجاوز ارتفاع المسكن: لا يسمح بأي حال من الأحوال بالتعالي والزيادة في علو وارتفاع المسكن المسموح به وهو 7.5م داخل القطاع المحفوظ عامة احتراما للعرف العام وللنسق العام واحتراما للجار حتى لا يمنع عنه الشمس والتهوية، وكل بناية تخل بالمناظر الطبيعية والعمرانية مهما تكن طبيعتها تعتبر ممنوعة.

–منع إحداث الدرج في الشارع: يمنع إحداث الدرج نحو الشارع أو الزقاق لأن الزقاق له حرمته ولا يجوز إيذاء المارة بهذه الدرج، بل يجب إلزاما بناء درج المنزل نحو داخل المسكن.

–منع فتح النوافذ: يمنع إحداث نوافذ كبيرة تطل مباشرة إلى الشارع لأنها تخل بمبدأ الحرمة والنمط المعماري المحلي وتشوه المنظر العام وخاصة إذا كانت تحتوي على سياجات حديدية مزركشة كما أنها تسمح بمرور الهواء الساخن صيفا والزوابع.

–منع تقابل الأبواب: لا يجوز فتح باب من الشارع أمام الباب المقابل إلا ما سلف فتحه سابقا بل ينبغي أن يتخالفا بعض الاختلاف لتحاشي انكشاف ما بداخل المنزل.

---

[1] الشثري (سعد بن ناصر بن عبد العزيز): مختصر صحيح البخاري، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ–2020م، كتاب: المظالم، باب: لا يمنع جار جاره أن يغرز، رقم 1079، ص 391

–منع إحداث المرافق: لا يجوز لأي شخص أن يحدث بينه وبين جيرانه مطبخا أو مرحاضا تقليديا أو خزانا للماء أو إسطبلا حتى لا يؤذي جاره بالضجيج أو الرطوبة أو بالروائح الكريهة.

–منع إحداث الشرفات: لا يسمح بإنشاء الشرفات وخاصة تلك التي تطل مباشرة على الشارع فهي لا تتماشى مع عمارة المنطقة أولا، ومع المناخ ثانيا.

–احترام حرمة السكة غير النافذة: لا يجوز لأي شخص أن يفتح بابا أو منفذا إلا برخصة من المصالح التقنية للبلدية وبقبول من جميع الجيران.

–التقيد بعدد الطوابق: يحدد في جميع البنايات بطابق واحد على الأكثر.

–تقييد الزيادة في العلو: إذا أراد شخص الزيادة في العلو أكثر من جاره الموجود بالجانب الآخر من الطريق الفاصل بينهما، فله الحق أن يزيد فيه بمقدار عرض الطريق، مثال ذلك الجدار الغربي علوه 5 أمتار والجدار الشرقي علوه 5 أمتار وعرض الشارع متران، فللغربي الحق في الزيادة بمترين ليصبح 7 أمتار دون أن يتعدى ارتفاع 7.50م، ومن المعلوم أيضا في العرف بأنه يسمح بإجراء قاعدة "**ظهر الحمار**" فيما يخص الشمس الغربية والقبلية يعني مثلا: أن يترك ذراعا، يبني حائطا علوه ذراعا يسمح له بتسقيف علو هذا الستر.

ويمكن تحديد **خصائص العمارة في مدينة غرداية** بأنها:

–الوقاية: تتوفر فيها الوقاية لساكنيها من الشمس والحر والبرد والغبار والأخطار وغير ذلك مما يعرض الحياة للخطر.

–الستر: يستر السكن ساكنيه من أعين الناس وأسماعهم، وأن يستر متاعهم وغير ذلك مما يكرهون اطلاع الناس عليه ولذلك شرع الله قواعد الاستئذان وغض البصر.

–الحماية: تتوفر فيه الحماية لساكنيه وما لهم فيه من متاع ومال وعرض وغير ذلك، فحماية وحفظ النفس والعرض والمال من مقاصد الشرع الرئيسة التي يكفلها البناء والعمران.

–حسن الاستخدام: يجب في العمارة والمسكن أن يكون صالحاً للاستخدام والانتفاع المباح لا الاستخدام المحرم أو مجرد العبث من غير فائدة توظيفية.

–صلاحية الموقع: ينبغي اختيار الموقع المناسب للبناء، فأولا يجب في الأرض التي يكون عليها البناء أن تكون مباحة له شرعاً، وله حق التصرف بالبناء ونحوه، وأن يكون المسكن مكانا يأمن فيه ساكنوه على مصالحهم الضرورية كالنفس والمال وغيره، لا البناء عند مجرى أو مصب.

– **الاقتصاد وعدم البناء فوق الحاجة، ونبذ الزخرفة:** ذم إنفاق المال والوقت في البناء فوق الحاجة وفيما لا نفع فيه.

– **احترام الجيرة ورفع الضرر عن الجار:** فلا يؤذيه ولا يضره محترما حقه في الطريق والمجاورة.

– **مخالفة الهيئات التي يحصل بها التشبه بغير المسلمين:** ليس مجرد البناء والعمارة مما يختص به المسلمون بل مما يشترك فيه المسلمون وغيرهم، لكن لبناء المسلمين ضوابط ومقاييس.

– **استيعاب التصميم لإمكانية الجلوس على الأرض:** تصميم بناء صالات الطعام اعتبار الجلوس والأكل على الأرض دون غيره من الهيئات كالوقوف والجلوس على الكراسي.

– اليسر والسهولة والبساطة ووحدة المباني في الشكل واللون: ينبغي أن يكون تصميم البناء مبنياً على اليسر والسهولة دون التكلف والتعقيد

– مراعاة اتجاه الجلوس إلى غير القبلة في دورات المياه: ينبغي في المسكن أن يكون تصميم دورات المياه فيه إلى غير اتجاه القبلة أو عكسه

الخاتمة:

–موضوع العمران وفق مقاصد القرآن من الموضوعات المهمة والمعاصرة، وهو موضوع حيوي، يثير شغف القارئ للبحث وله علاقة بالقرآن وفق أحكام البنيان، جاء لتعزيز ثقة الفرد المسلم، بشمولية القرآن الكريم من حيث معانيه وأساليبه التي تعالج قضايا الحياة في جوانبها المختلفة.

–العمارة هي الفن العلمي الذي يسعى لإقامة مبانٍ تتوافر فيها شروط الانتفاع والمتانة والجمال والاقتصاد، وتفي باحتياجات الناس الإيمانية، والنفسية، والمادية، والفردية، والجماعية، بأحسن الوسائل المتوفرة في العصر الذي تكون فيه، وألا تتناقض مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان، وأن تعكس التراث الحضاري لهذا الإنسان والثقافة التي ينتمي إليها.

–يحصر الشاطبي، المقاصد الضرورية في خمسة: حفظ الدين، والنفس، والمال، والعقل مبدأ حفظ العرض.

–أخذ علال الفاسي، آراءه عن الشاطبي، ويرى أن للشريعة الإسلامية مقصدا عاما أصليا تتفرع عنه سائر المصالح الأخرى هو؛ عمارة الأرض وحفظ نظام التعايش فيها واستمرار صلاحها لصلاح المستخلفين فيها.

–وتركز مقاصد القرآن على الجانب العمراني لما فيه من أهمية، فهو حفظ نظام العالم الإسلامي، وواجهة الحضارة ورقيها.

–تدور أسس العمارة والبناء على الأحكام التكليفية الخمسة: الوجوب والندب والإباحة والكراهة والتحريم، وكل حكم له أدلة شرعية.

–أما الدراسة التطبيقية والتي تم تخصيصها لمدينة من المدن الجزائرية القديمة فقد كانت محاولة لتوضيح مدى تطبيق السلف للقرآن وآياته في مجال مهم كمجال العمران والذي قد ينتبه إليه العامة من الناس، وقد عكست جملة من الخصائص المعمارية التي تنطبق على خصائص العمارة الإسلامية.

1-القرآن الكريم: برواية ورش عن نافع، طبعة 1434هـ.

قائمة المصادر والمراجع

2-محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير من التفسير، الدار التونسية للنشر، تونس، الكتاب الأول، 1984م.

3-الشاطبي (إبراهيم بن موسى): الموافقات، ضبطه وحققه، أبو عبيدة بن حسين آل سلمان، دار بن عفان، ج1، د ط، د ت.

4-البخاري (محمد بن اسماعيل): الأدب المفرد، بتعليقات؛ محمد ناصر الدين الألباني، د ط، د ت.

5-الشثري (سعد بن ناصر بن عبد العزيز): مختصر صحيح البخاري، دار اشبيليا للنشر والتوزيع، ط1، 1423هـ-2020م

6-حَكَم الطاهر: نظريات العمارة والتصميم المعماري، عمان، الأردن، ط1، 1985

7-حسن سعيد الكرمي: الهادي إلى لغة العرب، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1992

8-سعيد الخوري الشرتوني: أقرب الموارد في فُصَحِ العربية والشوارد، طبع في مطبعة مرسلي اليوسعية، بيروت، لبنان، 1889.

9-عماد محمد عدنان تنبكجي: النظرة المعمارية لمسألتي السكن والإسكان، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط1، 1991.

10-علاّل الفاسي: مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، دار الغرب الإسلامي، المملكة المغربية، ط5، 1993م

11-عفيف البهنسي: العمارة العربية، الجمالية والوحدة والتنوع، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، المغرب، ط1، 2008.

12- عزت السيد أحمد: عفيف البهنسي والجمالية العربية، دراسة وحوار، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ط1، 2008م.

13-عبد الله دراز: الموافقات في أصول الشريعة لأبي إسحاق الشاطبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1425هـ-2004م

14-مصطفى أحمد بن حموش: فقه العمران الإسلامي، من خلال الأرشيف العثماني الجزائري، 956هـ-1549م/1242هـ-1830م، دار التراث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي، الامارات العربية المتحدة، ط1، 1421هـ-2000م.

15- يحي وزيري: العمران والبنيان من منظور الإسلام، وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الكويت، ط1، 2008م.

-المعاجم

16-ابن فارس (أحمد بن زكريا أبو الحسين): مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، سوريا، المجلد 5، 1399هـ-1979م

17-ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم): لسان العرب، ت: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1041هـ-1981م.

18-الفراهيدي (أبو عبد الرحمن خليل بن أحمد، ت 175هـ): العين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

19- الطبراني (أبي القاسم سليمان بن أحمد 260هـ-360هـ): المعجم الكبير، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ج13، ط2، 1983.

-الكتب الأجنبية:

20-André Ravéreau : Le M'Zab une d'architecture, Sandbad, 1997.

-الرسائل الجامعية:

21-الغزالي (صالح بن أحمد بن محمد): حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية، دراسة فقهية مقارنة، جامعة ام القرى، المملكة العربية السعودية، ط1، 1414هـ

المجلات والدوريات:

22-المؤتمر المعماري الأول لنقابة المهندسين الأردنيين، عمَّان، الأردن، كتاب المؤتمر، 7-10 سبتمبر، 1998.

- سعاد عبد العلي مهدي: عمارتنا؛ إشكالية الهوية، بل إشكالية التعريف.
- فارس المالكي: العمارة المعاصرة في العالم الإسلامي.
- حفصة رمزي العمري: القرآن الكريم مفتاح للبحث العلمي لعلم العمارة ونظرياته.
- صقر مصطفى الصقور: كيف يساهم الفكر المعماري الإسلامي في بلورة الهوية المعمارية الإسلامية.

23- مراد بلخير: مقاصد القرآن عند الشاطبي، دراسة تأصيلية، مجلة المعيار، المجلد 23، ع 24، 2019م.

24- وزارة الثقافة: البناء بالحجارة؛ تحضير البلاط وتقنيات البناء، ديوان حماية وادي ميزاب وترقيته، 2012م.

25-وزارة الثقافة: أنواع التسقيف في البنايات التقليدية بوادي ميزاب، دوان حماية واد ميزاب وترقيته، 2013.

26- إسكافيي كازانوفا: دليل المواقع والمعالم التاريخية بوادي ميزاب، برنامج ممول من الاتحاد الأوروبي، 2009م.

المواقع الإلكترونية:

27-يحي وزيري: مصطلحات العمارة والعمران في القرآن الكريم؛ نحو لغة معمارية دقيقة وموحدة"
http://www.bonah.org

28-مدينة غرداية https://ar.wikipedia.org/wiki/